نضال المغرب من أجل تحقيق الاستقلال واستكمال الوحدة الترابية



ذ.أبوالعلا المصطفى

مقدمة: تبنى المغاربة أشكال مختلفة من أجل تحقيق الاستقلال واستكمال الوحدة الترابية، تراوحت بين العمل المسلح والمقاومة السياسية.

- 1- ما هي أهم أشكال المقاومة المسلحة؟ وما هي أسباب توقفها؟
- 2- ما هي أبرز التطورات التي عرفتها المقاومة السياسية قبل حصول الإستقلال؟
 - 3) ما مي مراحل استكمال المغرب لوحدته الترابية؟ وما أبرز أشكالها؟

ا- مرحلة المقاومة المسلحة وأسباب توقفها 1912-1933

- 1) المقاومة المسلحة
- المقاومة المسلحة في منطقة الجنوب: قادها أحمد الهيبة بن الشيخ ماء العينين، الذي اتخذ مديئة تزنيت مقر لحركته، ونظم حملة عسكرية دخل بها مراكش من أجل وقف زحف الجيوش الفرنسية نحو الجنوب، لكنه هُزم في معركة سيدي بوعثمان شتنبر 1912، وبعد وفاته واصل أخوه مربيه ربه المقاومة المسلحة ضد جيوش فرنسا وأعوانها إلى حين وفاته 1934.
- المقاومة المسلحة في منطقة الأطلس المتوسط: تزعمها موحا أو حمو الزياني، وانتصر على الجيش الفرنسي في معركة الهري سنة 1914، وظل يقاوم حتى استشهاده سنة 1921.
- المقاومة المسلحة في منطقة الأطلسين الكبير والصغير: قادها عسو أوبسلام الذي كبد القوات الفرنسية خسائر فادحة في معركة بو غافر سنة 1933 .
- المقاومة المسلحة في جبال الريف منطقة النفوذ الإسباني: سطر المجاهد محمد بن عبد الكريم وسكان الريف أروع البطولات وألحقوا بالمستعمر الإسباني هزائم مذلة كانت أهمها في معركة أنوال الخالدة 1921.

استنتاج: رفعت جل القبائل المغربية السلاح في وجه المستعمرين الفرنسي والإسباني، ولم تستلم في إلا بصعوبة بالغة وساهمت في تأخير فرض السيطرة التامة على المجال المغربي إلى حدود 1934.

41 11 1	4 1012 1000	2 to 11 to	7 12 11 (5) 20
أهم المعارك	الفترة الزمنية	زعماء المقاومة	القبائل المقاومة
- معركة سيدي بوعثمان: شتنبر 1912م.	- غشت - شتنبر 1912م	- أحمد الهيبة.	قبائل الجنوب والصحراء
- معركة إكالفن: فبراير 1917م.	- استمرت بعد ذلك في الجنوب	- مربیه ربه.	
	إلى سنة 1934م.		
- معركة لهري يوم 13 نونبر 1914م.	1921 - 1914م	- موحا أوحمو الزياني.	قبائل الأطلس المتوسط
- معركة تاغزوت، يونيو 1916م.		- سيدي رحو.	
- معركة أنوال يوم 21 يوليوز 1921م.	1926 - 1912م	- محمد بن عبد الكريم	قبائل الريف وجبالة
- معركة دار بن قريش: يناير 1920م.		الخطابي.	
		- محمد أمزيان - أحمد	
		الريسوني.	
- القوس: يوليوز 1919م.	1933 - 1918م	- عسو أوبسلام	قبائل الأطلس
- ﺑﻮﯕﺎﻓﺮ: ﻓﺒﺮﺍﻳﺮ 1933م.		- باعلى، زايد أوحماد	الكبير والصغير

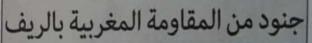
2) أسباب توقف المقاومة المسلحة

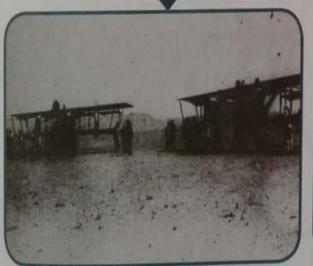
اعتبرت معركة بوغافر 1933 أخر فصول المقاومة المسلحة التي توقفت بفعل عدة أسباب، أهمها التفاوت الواضح في موازين القوى لصالح المستعمر، وأبرز عناصرها نوعية الأسلحة ومن ضمنها أسلحة فتاكة حسمت المعارك لصالح المحتل، وخاصة إسبانيا التي وظفتها ضد المقاومة في جبال الريف وأرغمت محمد بن عبد الكريم على الاستسلام. كما قدم بعض المغاربة العون للمستعمر وتسهيل عملية القضاء على المقاومة وخاصة القياد الكبار (العيادي والباشا الكلاوي)

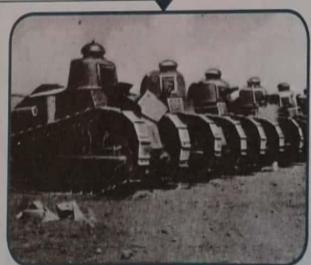
مَدُّ [القائد العيادي] عيانا للجيش الفرنسي الذي يقطع وادي أم الربيع ليزحف إلى الجيش الزاحف من مراكش. وقد تقوى ببعض الرحامنة الذين مع العيادي. فأرسل شؤبوبا من القذائف على رأس مربيه ربه، فلم يقف هو ولا أصحابه يوما كاملا ... بل انهار جدارهم بسرعة غريبة. فتسابقوا نحو الحمراء [مراكش]، وتسمى هذه الواقعة بواقعة سيدي بوعثمان وكان ذلك يوم الجمعة 25 رمضان 1330هـ [7 شتنبر 1912].

محمد المختار السوسي، المعسول، الجزء 4، الدارالبيضاء، 1960، ص. 150

بعض أسلحة جيش الاحتلال الفرنسي.









الوثيقة 9 يقول وولتر هاريس W. Harris مراسل جريدة التايمز اللندنية من المغرب.

«دمرت الحرب [1926] منطقة الريف، واجتاحت أرجاءها الأمراض والمجاعة ... ألقى الفرنسيون والإسبانيون مئات الأطنان من القنابل شديدة الانفجار على القرى ... واستعمل الإسبانيون الغازات السامة [اللوست غاز يحدث آلاماً حادة للمعدة والجسم، وإسهالاً مصحوباً بالحمى، وهزالاً وميلاً سريعاً نحو الوهن]».

ورد عند، روبيرت كونز. رولف دبيترمولر، حرب الغازات السامة بالمغرب، عبد الكريم الخطابي في واجهة السلاح الكيميائي، ترجمة عبد العالي الامراني، منشورات فيدباك، الرباط، 1996، ص. 117 - 118

II- مرحلة المقاومة السياسية وتحقيق الإستقلال

1) الحركة الوطنية والمطالبة بالإصلاحات

أدى إصدار سلطات الحماية للظهير البربري 16 ماي 1930 والذي هدفت من خلاله إحداث تفرقة في المجتمع المغربي بين العرب والأمازيغ، إلى قيام احتجاجات ومظاهرات منددة به أثمرت تأسيس الخلايا الأولى للحركة الوطنية وأبرزها كتلة العمل الوطني التي تكونت سنة 1933 في المنطقة السلطانية، وضمت كبار الزعماء السياسيين (علال الفاسي- أحمد بلافريج- محمد بن الحسن الوزاني).

قدمت كتلة العمل الوطني لسلطات الحماية يوم 1 دجنبر 1934 برنامجا إصلاحيا باسم «دفتر مطالب الشعب المغربي» والذي ركز على المطالبة بإصلاحات في مختلف المجالات (الاقتصادية الاجتماعية الإدارية ومجال الحريات) هدفت من وراءها مقاومة تكريس نظام الحكم المباشر وإقصاء المغاربة وتفضيل الأجانب بالإمتيازات. لكن سلطات الحماية الفرنسية لم تستجب لهذه المطالب وسمحت فقط بإصدار جريدة «عمل الشعب» باللغة الفرنسية. أما في المنطقة الخليفية فبدورها شهدت تقديم مجموعة من المطالب الإصلاحية، استجابت لبعضها السلطات الاستعمارية الاسبانية، فسمحت بتأسيس حزب الإصلاح الوطني بزعامة عبد الخالق الطريس وإصدار جريدة الأطلس باللغة العربية.

الوثيقة 11 جاء في ظهير 17 ذي الحجة 1384هـ/ 16 ماي 1930م.

«الفصل الثاني: إن القضايا المدنية والتجارية والمختصة بالعقارات والمنقولات تنظر فيها محاكم خصوصية تدعى بالمحاكم العرفية ابتدائيا أو نهائيا طبقا للحدود التي يجري تعيينها بقرارات وزيرية، كما تنظر هذه المحاكم نفسها في جميع القضايا المتعلقة بالأحوال الشخصية أو بأمور الإرث وتطبق في كل الأحوال العوائد المحلية ...

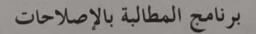
الفصل الخامس: يجعل لدى كل محكمة عرفية ابتدائية أو استئنافية مندوب مفوض من طرف حكومة المراقبة بالناحية التي يرجع إليها أمر المحكمة.

الفصل السابع: إن القضايا المتعلقة بالعقارات، إذا كان الطالب فيها أو المطلوب من الأشخاص الراجع أمرهم للمحاكم الفرنسية تعتبر من اختصاصات هذه المحاكم نفسها...»

«مـن يحصرها [الحركة الوطنية] في الحركة السياسية المنظمة الواعية بخطتها الرامية إلى إحباط برنامج الاستعمار الإدماجي، يحدد بدايتها بيوم 16 ماي 1930، تاريخ المظاهرات الشعبية لصدرو الظهير البربري. لكن من الواضح أن الله المظاهرات الصاخبة التي تردد صداها في سـائر العالم الإسلامي تدل على أن الجماهير المغربية متشبثة بوحدة الوطن وسيادة الشرع وسلطة الملك».

«قام منظمو [عمل الشعب] بتكوين ... «كتلة العمل الوطني» وأعدوا ميثاقا أسموه برنامج الإصلاحات (1 دجنبر 1934) ... المتميز بلهجته المعتدلة، لم يعترض على نظام الحماية، وطالب الحكومة الفرنسية باحترام روح ومنطوق معاهدة فاس ... وقد قدم هذا البرنامج في آن واحد للمحرّن والإقامة العامة بالرباط وللحكومة الفرنسية، غير أنه لم يؤخذ بالحسبان نهائيا.»

كتلة العمل الوطني: أول حزب سياسي مغربي، تكون سنة 1933، من طرف مجموعة من الزعماء مثل علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني وأحمد بلا فريج، وشهد انشقاقا أدى إلى تكوين الحزب الوطني لتحقيق المطالب والذي أصبح يحمل منذ 1943 اسم حزب الاستقلال بزعامة علال الفاسي، والحركة القومية بزعامة محمد بن الحسن الوزاني الذي أصبح يحمل منذ 1946 اسم حزب الشورى والاستقلال.



السياسة الإدارية

إنشاء نظام إداري مبني على أسس المعاهدات الدولية خصوصامعاهدة الحماية.

- إلغاء الإدارة المباشرة.
- احترام حدود الدولة المغربية.
 - تكوين حكومة مغربية .
 - إلغاء وسائل التعذيب.
 - حماية حرية التعبير.

الاقتصادية والمالية

- -إيقاف الاستعمار الرسمي.
- تكوين تعاونيات فلاحية.
- المساواة في الضرائب بين المغاربة والأجانب.
- حماية الصناعة التقليدية من المنافسة الخارجية.
- تأميم مصادر الطاقة والمناجم والسكك الحديدية.
- إلغاء الرسوم بين المناطق المغربية الثلاث.

الاجتماعية

- إجبارية التعليم الابتدائي.
- السماح بإنشاء المدارس الحرة.
- إنشاء مستشفيات بالمدن ومستوصفات بالبوادي.
- إحداث ملاجئ للشيوخ والعجزة.
- تحديد ساعات العمل اليومية في
 - 8 ساعات.
 - محاربة البطالة.

2) الحركة الوطنية والمطالبة بالإستقلال

دفع تعنت سلطات الحماية الفرنسية زعماء كتلة العمل الوطني إلى إنشاء حزب سياسي باسم «الحزب الوطني لتحقيق المطالب المغربية» سنة 1937 والذي أصبح في 1944 حزب الإستقلال بزعامة علال الفاسي، أما محمد بلحسن الوزاني فأسس حزب أخر باسم الحركة القومية والذي أصبح يحمل اسم حزب الشورى والإستقلال 1946.

دفعت مجموعة من الظروف الداخلية (استمرار سلطات الحماية في تبني الحكم المباشر واستغلال خيرات البلاد) والخارجية (الحرب العالمية الثانية وانعقاد مؤتمر أنفا 13 يناير 1943) إلى مطالبة الحركة الوطنية مجسدة في حزب الاستقلال باستقلال المغرب عبرتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال لسلطات الحماية 11 يناير 1944.

3) دور ثورة الملك والشعب في تحقيق الإستقلال

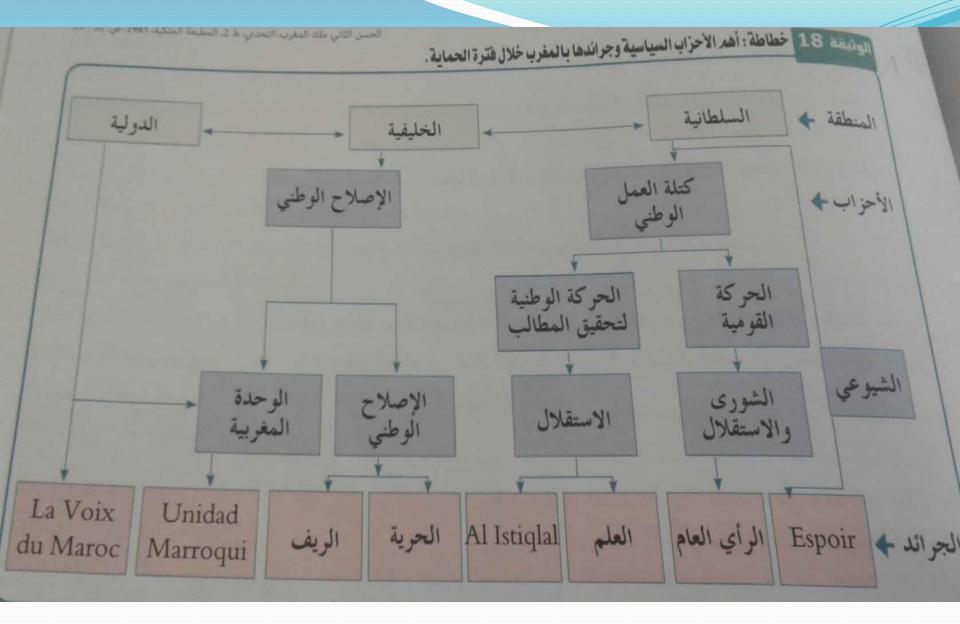
قام السلطان محمد بن يوسف برفض برامج سلطات الحماية وبدعم مطالب الحركة الوطنية والذي عبر عنه في مجموعة من المناسبات أبرزها خطاب طنجة 10 أبريل 1947 مما أكد على تلاحم الشعب المغربي في مختلف الجهات مع سلطان البلاد، الأمر الذي أغضب سلطات الحماية ودفعها يوم 20 غشت 1953 إلى نفي السلطان إلى خارج البلاد كورسيكا ومن بعدها مدغشقر، وتعيين ابن عمه محمد بن عرفة سلطانا بديلا.

لم يتقبل الشعب المغربي نفي السلطان واستبداله بآخر (بن عرفة) فانطلقت المرحلة الثانية من المقامة المسلحة السرية، وتشكلت النواة الأولى لجيش التحرير. واستهدف المقاومون اغتيال البن عرفة مرتين، كما استهدفوا اغتيال الباشا الكلاوي، إضافة إلى تخريب المنشآت الاستعمارية.

وحصل المغرب على تأييد الجامعة العربية وحركة دول عدم الانحياز، لرفع قضية المغرب إلى الأمم المتحدة، مما دفع السلطات الفرنسية إلى التفاوض مع قادة الحركة الوطنية بمدينة إيكس ليبان 20 غشت 1955. وانتهت المفاوضات بعودة السلطان محمد الخامس إلى المغرب 16 نونبر 1955 وتوقيع اتفاقية الاستقلال في 2 مارس 1956مع فرنسا.

يقول الحسن الثاني ملك المغرب في كتابه التحدي:

«جاءت خطة الإصلاحات ... تطلب للمغاربة حق ممارسة الحقوق السياسية ... وخلال ستة عشر عاما [من 1927] إلى 1943] ومع ستة مقيمين عامين ... جرب والدي مختلف الطرق والوسائل: مناشدات، احتجاجات ... ولهذا فإن الذين كانوا يظنون أن من الممكن الوصول إلى الاستقلال عن طريق الإصلاحات أقنعهم والدي ... أن يعكسوا المقدمة المنطقية منادين: للوصول إلى الإصلاح لا بد من الاستقلال».



«جاء [المقيم العام جوان] بتعليمات صارمة ليدفع بالسلطان [سيدي محمد بن يوسف] إلى وقف مقاومته لمشاريع الإصلاح... فقد كانت هذه الإصلاحات... ترمي إلى إضعاف السيادة المغربية لصالح الفرنسيين... فحسب هذا المشروع الإصلاحي... يتمتع الثلاثمائة ألف فرنسي بالمغرب بالحق في إدارة سياسة البلاد... فيما يظل العشرة مليون مغربي، وعلى رأسهم السلطان، يخضعون للمؤسسات المفروضة التي تهدف إلى تأييد الهيمنة الأجنبية على المغرب».

الوثيقة 24 سيدي محمد بن يوسف يلقي خطابه بطنجة يوم 10 أبريل 1947م



مذكرات من التراث المغربي، ج. 6، م.س، ص. 71

الوثيقة 23 من خطاب العرش 18 نونبر 1952م.

"... فمنذ تولينا الأمور بنفسنا... نسعى في تحسين أحوال الرعية... لكن الحماية... لم تجار روح العصر وتطور الشعب المغربي، وقد ضربنا في ذلك مثلا لأحد رجالات فرنسا المسؤولين في محفل رسمي سنة 1944 بقولنا، إن الحماية مثلها كمثل قميص جعل لطفل صغير فكبر الطفل ونما وترعرع، وبقي القميص على حاله. وفي رحلتنا إلى فرنسا سنة مثلها كمثل قميص جعل لطفل صغير فكبر الطفل ونما وترعرع، وبقي القميص على حاله. وفي رحلتنا إلى فرنسا سنة 1945، شرحنا لرئيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية حالة البلاد، وبينا له ضرورة إنصاف رعايانا في حقوقهم المشروعة... كما انتهزنا فرصة زيارة لطنجة سنة 1947، فأعلنا وجوب احترام سيادة البلاد ووحدة ترابها وتمتع المغرب بعريته الكاملة...»

«إن جريمة نفي السلطان [سيدي محمد بن يوسف 20 غشت 1953م] قد مست مساسا بكرامة المغاربة أجمعهم، فقد عمدت الإقامة العامة باسم فرنسا إلى نهب السيادة الوطنية، مشكلة بذلك كراهية عامة طالت الحضور الفرنسي بالمغرب أيضا. وبما أن قضية العرش أصبحت لصيقة بقضية السيادة المغربية، فقد أثارت بسرعة حماس الجماهير ...، فإذا كان ابن عرفة قد تعرض منذ شتنبر 1953 لأول محاولة اغتيال، فإن غيوم بدوره، وبعد أن أشرف على "الإصلاحات" ،تلقى الاستنكار الشعبي في شكل قنابل».

غيوم: الجذرال غيوم مقيم عام فرنسي من 1951 إلى 1954 أشرف على نفي السلطان محمد بن موسف

ابن عرفة: ابن عم السلطان محمد بن يوسف، نصبته فرنسا كسلطان للمغرب بعد نفي السلطان الشرعي.

«وفيما كانت ضربات الفدائيين تلاحق ابن عرفة [1953-1955] صنيعة الاستعمار... كانت مظاهرات سياسية شبه يومية تنطلق كل مساء بمشاركة النساء والأطفال فوق السطوح... وتتعالى الزغاريد والهتاف بحياة الملك وتجاوز خبر "المعجزة" سـطوح المدينة وشاع في أسواق البوادي وقراها... وكانت [رؤية الملك] في عمقها عبارة عن تحريض سياسي بإشارات الأيادي المتجهة نحو القمر البعيد ...».

عبد الله رشد، كفاح المغاربة في سبيل الاستقلال والديمقراطية 1953-1973. الشركة الجديدة للمطابع المتحدة، الدار البيضاء، 2004، ص ص 56-57.

«إن حكومة الجمهورية الفرنسية وحكومة جلالة الملك... يشهدان أنه إثر التطور الذي حصل بالمغرب، فإن معاهدة فاس لسنة 1912 لم تعد مطابقة لمقتضيات الحياة العصرية ولا يمكن أن تكون أساسا لأن تتحكم في العلائق الفرنسية المغربية. وعلى هذا فإن حكومة الجمهورية الفرنسية تؤكد رسميا اعترافها باستقلال المغرب... وعزمها على أن تحترم وحدة الأراضي المغربية المضمونة بالاتفاقات الدولية...»

جريدة العلم، السنة 11، العدد 2098، يوم 3 مارس 1956

III- مراحل وأساليب استكمال الوحدة الترابية

1) مراحل استكمال الوحدة الترابية

بعد توقيع اتفاقية الاستقلال في 2 مارس 1956مع فرنسا التي قضت باستقلال المنطقة السلطانية، تلاها اتفاق أخر في أبريل 1956 مع إسبانيا قضى باستقلال المنطقة الخليفية. وفي أكتوبر 1956انتهى الوضع الدولي لمدينة طنجة. ولاستكمال الوحدة الترابية استرجع المغرب إقليم طرفاية سنة 1958ومنطقة سيدي إفني سنة 1969، وإقليمي الساقية الحمراء في 1975 وواد الذهب سنة 1979.

2) أساليب استكمال المغرب لوحدته التربية

اعتمد المغرب على أسلوب المفاوضات من أجل استرجاع مناطقه التي ظلت خاضعة للإستعمار بعد الإستقلال سنة 1956، فحصل بذلك على منطقة طرفاية وسيدي إفني، اما منطقة الساقية الحمراء فقد اعتمد أسلوبا سلميا فريدا تجلي في تنظيم المسيرة الخضراء بمشاركة 350 ألف مواطن في 6 نونبر 1975. أما منطقة ووادي الذهب فقد جدد سكانها البيعة للحسن الثاني سنة 1979. ولازال المغرب مقتنع باعتماد أسلوب الحوار والمفاوضات من أجل استرجاع باقي المناطق المحتلة وخاصة مدينة سبتة ومليلية.

خاتمة: واجه المغاربة الاحتلال الأجنبي بطرق مختلفة تمثلت في المقاومة المسلحة والنضال السياسي. وقدموا تضحيات جسيمة للحصول على الاستقلال